السنة النبوية ودورها العقدي في ترسيخ الثوابت الإيمانية لدى الشباب: دراسة تحليلية في ضوء التحديات الفكرية المعاصرة

The Doctrinal Role of the Prophetic Sunnah in Strengthening the Faith Foundations of Youth: An Analytical Study in Light of Contemporary Intellectual Challenges

م. د. طلال مانع محمد نصيف الجميلي

Dr. Talal Manie' Mohammed

talalmanie68@gmail.com

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة النبراس

الملخص

تتناول هذه الدراسة التحليلية دور السنة النبوية في ترسيخ الثوابت العقدية لدى فئة الشباب، في ظل ما يواجهونه من تحديات فكرية معاصرة تهدد ثباتهم الإيماني وتعرضهم للشك والاضطراب. وقد تم تقسيم الدراسة إلى مبحثين رئيسيين: الأول يُبرز البعد العقدي في السنة النبوية، ويُظهر كيف شكلت الأحاديث النبوية مرجعًا أساسيًا في بناء الإيمان، وغرس التوحيد، وتحصين العقيدة من الشبهات. أما المبحث الثاني، فيسلط الضوء على أبرز التحديات الفكرية التي تواجه الشباب في هذا العصر، كالإلحاد والنسبية والعلمنة، ثم يُبيّن كيف أن السنة النبوية بأسلوبها التربوي والوجداني تقدم خطابًا عقديًا يعالج هذه التحديات ويعزز مناعة الشباب الإيمانية. وخلصت الدراسة إلى أن تفعيل السنة النبوية في خطاب الشباب ضرورة فكرية وتربوية، كونها تمثل المصدر الحي للإيمان العملي والتربية العقدية، القادر على مواجهة تيارات التشكيك والاغتراب العقدي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: السنة النبوية، العقيدة، الشباب، التحديات الفكرية، الثوابت الإيمانية.

Abstract

This analytical study explores the role of the Prophetic Sunnah in reinforcing doctrinal foundations among youth amidst contemporary intellectual challenges that threaten their faith and induce doubt and instability. The research is structured into two main sections: the first highlights the theological depth of the Sunnah, showing how Prophetic traditions serve as a foundational reference in instilling monotheism and protecting beliefs from misconceptions. The second section focuses on the main intellectual threats facing today's youth, such as atheism, relativism, and secularism. It then demonstrates how the Sunnah, with its educational and emotional dimensions, provides a creed-based discourse capable of addressing these challenges and strengthening the youth's spiritual resilience. The study concludes that revitalizing the Prophetic Sunnah in youth discourse is an intellectual and educational necessity, as it represents a living source of practical faith and doctrinal training capable of confronting currents of doubt and religious alienation.

Keywords: Prophetic Sunnah, Creed, Youth, Intellectual Challenges, Faith Fundamentals.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، ومن اهتدى بهديه الى يوم نلقاه وبعد:

في زمنٍ تهاوت فيه الحواجز بين الحضارات، وانفتحت النوافذ الفكرية على مصاريعها، وأصبحت الشكوك تتسلل إلى النفوس عبر أزرار الهواتف قبل أن تُعرض على المنابر والمحافل، يقف الشاب المسلم المعاصر بين عاصفتين: عاصفة داخلية من التساؤلات، وعاصفة خارجية من التيارات الهدّامة. وفي مثل هذه اللحظات التاريخية الفارقة، تنبعث السنة النبوية المطهرة من جديد، لا باعتبارها موروثًا نصيًا محفوظًا فحسب، بل باعتبارها مرجعية عقدية حيوية، متجددة، متصلة بوجدان الإنسان ومشكلاته المعاصرة.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذه الدراسة من واقعٍ مشهود، إذ أصبح الانفكاك التدريجي عن الثوابت الإيمانية لدى فئة من الشباب أحد أبرز أعراض الاغتراب الديني والفكري. ولمّا كانت السنة النبوية تمثّل التطبيق الحيّ للقرآن الكريم، وتزخر بالأحاديث التي تعالج صميم العقيدة، فقد بدت الحاجة ماسّة إلى دراسة علمية تبرز أثر السنة النبوية في ترسيخ العقيدة الإسلامية، وتحصين الشباب من التذبذب العقدي، والانجراف وراء موجات الإلحاد والتشكيك والتغريب.

مشكلة البحث:

أما مشكلة البحث فتتجلى في السؤال المحوري الآتي:

إلى أي مدى تمثل السنة النبوية عنصرًا فاعلاً في بناء العقيدة الإسلامية لدى الشباب، وترسيخ الثوابت الإيمانية في ظل التحديات الفكرية التي تواجههم اليوم؟

وانطلاقًا من هذه المشكلة، تهدف الدراسة إلى:

- تحليل البناء العقدي في السنة النبوية، وبيان مركزية العقيدة في الخطاب النبوي.
- رصد أبرز التحديات الفكرية المعاصرة التي تهدد ثبات الشباب العقدي.
- استنباط الآليات النبوية التربوية في تعزيز الإيمان والتعامل مع الشبهات.
- اقتراح سبل عملية لتفعيل السنة النبوية في خطاب الدعوة والتوجيه الموجّه إلى الشباب.

أهداف البحث:

أما أهداف الدراسة، فهي تنحصر في الجانب العقدي من السنة النبوية، مع التركيز على الفئة الشبابية، دون التوسع في الجوانب الفقهية أو الأخلاقية إلا من حيث ما يخدم المقصد العقدي. كما تقتصر التحديات الفكرية على القضايا الكبرى المؤثرة في الساحة المعاصرة مثل: الإلحاد، النسبية، العلمانية، فقدان المعنى.

وقد اعتمدت الدراسة في منهجها على المنهج التحليلي النصي في تتبع الأحاديث النبوية ذات الطابع العقدي،

والمنهج النقدي في دراسة الشبهات الفكرية، والمنهج الاستقرائي في استنباط وسائل المعالجة النبوية لتثبيت العقيدة في نفوس الشباب.

وتنقسم الدراسة إلى مبحثين رئيسيين:

الأول: يُعالج البناء العقدي في السنة النبوية ومكانته في بناء الإيمان.

الثاني: يستعرض التحديات الفكرية التي تواجه الشباب، ويبيّن كيف تقدم السنة خطابًا علاجيًا يعزز الثوابت.

وبهذا، تُعد هذه الدراسة محاولة علمية لبعث روح السنة النبوية في المجال العقدي، وتجسيد دورها العملي في توجيه الشباب نحو إيمان راسخ، ويقين مطمئن، وتحصين فكري يحول بينهم وبين موجات الشك والانجراف.

المبحث الأول: البعد العقدي في السنة النبوية ومكانته في بناء الإيمان

المطلب الأول: مركزية العقيدة في السنة النبوية: مفاهيمها وتجلياتها

لقد مثّلت العقيدة الإسلامية الركن الأول والأساس الأصيل في البنية الرسالية للنبي محمدﷺ إذ ابتدأ دعوته في مكة المكرمة بترسيخ معاني التوحيد، ونبذ الشرك، والدعوة إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، والملائكة والرسل والكتب والبعث، دون أن يُقدّم أي حكم فقهي أو تشريع عملي قبل أن يُمهد لذلك بالبناء الإيماني العقدي. وهذا التدرج المنهجي يكشف أن السنة النبوية قد اتخذت العقيدة محورًا أوليًا ثابتًا في مشروعها التغييري، وأن تحقيق الإصلاح النفسي والمجتمعي كان متوقفًا على تحقق الإيمان في النفوس. ويكفي للتدليل على ذلك تتبع الفترة المكية من السيرة، إذ غلبت عليها خطب النبي وأحاديثه في التوحيد والآخرة، وتجلّى ذلك في حديثه إلى قريش أولًا، ثم إلى أصحابه من المستضعفين، من أمثال بلال وعمار وياسر وخباب، حيث كان يُكرّر عليهم الوعد بالجنة والصبر على البلاء، دون أن يكلّفهم حينها إلا بثبات العقيدة[١].

ومن أبرز الأحاديث النبوية التي تُجلي هذه المركزية العقدية في السنة، حديث جبريل المشهور، الذي يُعدّ بمثابة دستور للإيمان الإسلامي، إذ جاء جبريل عليه السلام في صورة بشر، وسأل النبي ﷺ عن الإيمان، فأجابه: « أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره »، وهو حديث متفق عليه، وقد نص أهل العلم على أنه يجمع «مراتب الدين الثلاث: الإسلام، والإيمان، والإحسان»[٢] ويُبيّن هذا الحديث أن العقيدة هي الركن الثاني في الدين، لكنها من حيث البناء القلبي والروحي، هي الأساس الذي تُبنى عليه سائر الأعمال، وبدونه لا يستقيم الإسلام، ولا يتحقق الإحسان.

كما جاء في السنة حديث « الإيمان بضع وسبعون شعبة »، وهو نص نادر في ترتيب مراتب الإيمان وتفصيله،

(١) فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص٦٢.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، ج١، ص١٥٨.

حيث قال ﷺ: « الإيمان بضع وسبعون – أو بضع وستون – شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان »[١]. ويُظهر الحديث أن التوحيد هو القمة العقدية التي ينبثق عنها كل سلوك، وأن الأعمال الأخلاقية والاجتماعية إنما تُحتسب من الإيمان إذا كانت مؤسَّسة على أصل عقدي.

ولم تكن السنة النبوية تقتصر على الطرح النظري للعقيدة، بل تميزت بأسلوب شامل يخاطب العقل ويستثير القلب معًا، فكان النبي ﷺ يعتمد على البرهان العقلي في إثبات وجود الله ووحدانيته، كما في قوله: « كان الله ولم يكن شيء غيره »، وفي تكراره القسم: « والذي نفسي بيده...»؛ لإثارة التقديس في النفوس، وفي الأمثلة التوضيحية التي يستخدمها، كما في حديث: « مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا...»، وفي القَصص النبويّ الذي يستثمره لبيان الإيمان بالقدر، كما في حديث المرأة التي صرعت، فخيّرها النبي ﷺ بين الدعاء لها أو الصبر، فاختارت الصبر[٢].

وتُظهر هذه الأساليب التربوية وعي النبي ﷺ بأهمية توازن الخطاب العقدي بين البيان العقلي والتأثير العاطفي، فقد كان يقرن البراهين بالقصص، والوعظ بالتدليل، ليُثبّت الإيمان في القلوب، لا مجرد معرفته في العقول، وهو ما نحتاج إليه اليوم في ظل الخطابات التجريدية التي تخاطب العقل دون أن تلامس الشعور[٣].

إن مركزية العقيدة في السنة النبوية ليست مسألة هيكلية في التسلسل التعليمي فحسب، بل هي رؤية تربوية إصلاحية تؤمن بأن أي إصلاح في المجتمع لا يمكن أن يُكتب له النجاح دون إصلاح في التصور الإيماني للإنسان، ومن هنا جاءت السنة النبوية تضع حجر الأساس العقدي في بناء الجيل القرآني الأول، وتُورثه أمة الإسلام من بعده، كقاعدة محورية ثابتة عبر العصور[٤].

المطلب الثاني: السنة النبوية كمرجعية عقدية للشباب في زمن التشكيك

في عصر تتعاظم فيه أسئلة الوجود والمعنى، وتنتشر فيه موجات الإلحاد المعاصر، وتُعرض فيه العقائد على ميزان الشك المنهجي والنقد التفكيكي، تبرز السنة النبوية الشريفة بوصفها مرجعية عقدية أصيلة، لا تقلُّ قوة عن القرآن الكريم، بل تمثل امتدادًا عمليًا وتطبيقيًا له، توصل بين الوحي النظري والحياة الواقعية، وتؤسس لمنهج عقدي قادر على التعامل مع أزمات الشك وزعزعة اليقين التي يتعرض لها الشباب اليوم.

أولًا: السنة النبوية في الرد على الشبهات حول وجود الله، والقدر، والنبوة

لقد تناولت السنة النبوية بوضوح قضايا جوهرية في علم العقيدة، وواجهت مبكرًا الإشكالات الكبرى التي ما زالت تُطرح حتى اليوم، كقضية وجود الله، وصفاته، وإثبات النبوة، والإيمان بالقدر. وتجلّى ذلك في

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، ج١، ص٦٣.
(٢) صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، كتاب الطب، ج٧، ص١٢٠.
(٣) زاد المعاد، ابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١، ص٧٥.
(٤) معالم في الطريق، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٣، ص٤٧.

الأحاديث النبوية التي عالجت هذه الموضوعات معالجة مباشرة أو غير مباشرة، وكان فيها رد على التساؤلات الفطرية والعقلية التي قد تواجه المؤمنين في كل عصر.

ففي مجال وجود الله وتوحيده، نجد أن النبي ﷺ استثمر الفطرة السليمة والعقل الصريح لتأكيد وحدانية الله سبحانه وتعالى، كما في حديثه عن حوار موسى عليه السلام مع ربه، وحديث سؤال الجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها، فإنها مؤمنة» [١] هذا الحديث فيه تقرير صريح لعلو الله، وتأكيد لوضوح الإيمان الفطري بوحدانية الله ومكانه، وهو رد مبكر على التيارات الحلولية والتجسيمية وحتى الإلحادية المعاصرة التي تنكر السمات الوجودية لله عز وجل.

أما في قضية القدر، وهي من أعقد القضايا التي يُثيرها الشباب اليوم بدافع البحث عن العدالة الإلهية وحرية الإرادة، فقد جاء في السنة أحاديث ترسخ مبدأ الجمع بين علم الله الأزلي وحرية العبد، كما في الحديث: « اعملوا، فكلّ ميسر لما خُلق له »[٢] وهذا الحديث يرسّخ القناعة بأن القضاء لا يُلغي الاختيار، وأن علم الله لا يتعارض مع مسؤولية الإنسان، وهو جواب على الإشكالات الفكرية التي تخلط بين الجبرية المطلقة والحرية المطلقة.

وفي إثبات النبوة، فإن السنة نفسها تمثل الدليل الأكبر على صدق رسالة محمد ﷺ، من حيث دقة ألفاظها، وصدق أخبارها، واتساق تعاليمها مع المقاصد الكبرى للفطرة والعقل، وقد شهد الصحابة بأنهم لم يروا كذبًا على لسانه قط، كما جاء في حديث جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي حين قال: « بعث الله إلينا رسولًا نعرف نسبه وصدقه وأمانته...»[٣] إن هذا الوعي الصحابي بالنبوة انطلق من شهادة الحس والعقل، لا من تقليد أعمى.

ثانيًا: السنة النبوية كخطاب عقدي حيّ يراعي النفسية الشبابية

تميز الخطاب النبوي في السنة بأنه خطاب متجدد، واقعي، إنساني، شمولي، يتفاعل مع المتغيرات الزمانية والنفسية والاجتماعية. فالسنة لم تكن تقدم العقيدة في قوالب جامدة، بل وظفت القصص، والمواقف، والأسئلة، والمجاز، والحوار، والرمز، والمثل، وكلها أدوات فعّالة في التربية العقدية للشباب، الذين يتأثرون اليوم بالخطابات التفاعلية والبصرية أكثر من النصوص المجردة.

فمن جهة، خاطب النبي ﷺ العقل الشبابي، القادر على التساؤل والبحث، كما في موقفه مع الشاب الذي جاء يستأذنه في الزنا، فردّ عليه بالحجة والقياس العقلي: « أترضاه لأمك؟ أترضاه لأختك؟...» ثم وضع يده

---

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد، ج١، ص٣٨٢.
(٢) صحيح البخاري، كتاب القدر، ج6، ص258.
(٣) سيرة ابن هشام، تحقيق السقا، دار المعارف، ج١، ص٣٣٦.

على صدره وقال: « اللهم طهر قلبه...»[١] هنا نلحظ أن الخطاب لم يكن توبيخًا بل إقناعًا وتزكية نفسية، وهو ما يناسب المراهق والشاب الباحث عن منطقية الإيمان.

ومن جهة أخرى، قدّم النبي ﷺ خطابًا عاطفيًا وجدانيًا يلامس الحاجة الإنسانية إلى الاطمئنان والسكينة، كما في قوله: « إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله »[٢] وهو حديث عظيم في بناء العلاقة الوجدانية المباشرة بين الشاب وربه، بعيدًا عن الوسائط، والمظاهر الشكلية، والاضطرابات النفسية الناتجة عن الغربة العقدية. إن هذا النوع من التوجيه يربط الشاب بالله ربطًا مباشرًا، فلا يعود يشعر بالتيه واللا جدوى، بل بالمعنى والمغزى.

ثالثًا: أحاديث شاحنة لليقين وبانية للثقة العقدية

لقد ضمّت السنة النبوية نماذج كثيرة من الأحاديث التي تُشكّل مرجعًا عقديًا شاحنا لليقين، وبانيًا للثقة بالنفس، وبعلاقة العبد بربه. ومن ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنه: « يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك...»، إلى أن قال: « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك...»[٣] هذا الحديث يلخص عقيدة التوكل، والقدر، والتوحيد، وحقيقة الاستعانة بالله، وكلها مفاهيم جوهرية تُبني بها شخصية الشاب المؤمن.

ومن الأحاديث المؤسِّسة لمبدأ العقيدة العملية، حديث النبي ﷺ: « أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله...»[٤] ورغم ما في الحديث من دلالات تتعلق بالجهاد والبيعة، إلا أنه في بنيته يعكس أن أصل الدخول في الإسلام وبداية الإصلاح المجتمعي هو إعلان التوحيد، فهو حجر الأساس الذي تُبنى عليه منظومة الشريعة كلها.

وفي أحاديث الفتن، كقوله: « إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا...» ثم قال: « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي...»[٥] نجد أن النبي ﷺ ربط النجاة العقدية في زمن الاضطراب بـ التمسك بالسنة النبوية، مما يجعلها مرجعًا أبديًا في كل زمان، وخاصة في بيئة الشك المعاصر.

إن السنة النبوية ليست فقط مكمّلة للقرآن في التنزيل، بل هي الوجه العملي للعقيدة القرآنية، وهي المرجع الذي تُسعف به الأمة في زمن الشتات العقدي. ولقد أثبتت هذه السنة قدرتها – بأساليبها التربوية والعقلية والعاطفية – على بناء عقيدة متوازنة لدى الشباب، تجمع بين العقل والإيمان، وبين اليقين والحوار، وبين الثبات

---

(١) مسند أحمد، ج٥، ص٢٥٦.
(٢) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، ج٤، ص٦٦٧.
(٣) سنن الترمذي، ج٤، ص٦٦٧.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، ج١، ص١٤.
(٥) سنن أبي داود، كتاب السنة، ج٤، ص٢٠٠.

والانفتاح، وهو ما يجعل من استدعائها اليوم ضرورة لا مكمّلة، بل مؤسِّسة ومحرِّكة.

المبحث الثاني: تحديات الفكر المعاصر وأثر السنة في ترسيخ الثوابت لدى الشباب

المطلب الأول: التحديات الفكرية المعاصرة التي تهدد الثوابت العقدية

شهدت العقود الأخيرة تصاعدًا متسارعًا لما يمكن وصفه بـ الأزمات العقدية المركّبة، التي يتعرض لها الشباب المسلم، نتيجة لتغيرات معرفية، وتحولات حضارية، وسياقات رقمية متداخلة، تُعيد تشكيل وعي الإنسان المعاصر. ولم تكن هذه التحديات طارئة أو محصورة في البُعد النظري، بل أصبحت حالة ثقافية معيشة تتغلغل في اليوميات والذهن العام، مما يُسهم في زعزعة الثوابت الإيمانية في نفوس كثير من الشباب، إن لم تُواجه بخطاب عقدي متجدد، مؤصَّل، ومقنع.

أولًا: الإلحاد الجديد والتشكيك المنهجي

يُعد الإلحاد الجديد (New Atheism) أحد أخطر التحديات العقدية المعاصرة، حيث لا يكتفي هذا التيار بإنكار وجود الله، بل ينشط في نشر الأفكار الإلحادية بوسائل علمية ظاهرها البرهان، وباطنها الجدل، ويستند إلى مقولات فلاسفة الطبيعة كريتشارد دوكينز، وسام هاريس، ودانيل دينيت، الذين يوظفون مفاهيم التطور، والكونية، ونظرية الفوضى لنفي وجود خالق واعٍ، أو لإضفاء «عبثية» على الكون. وقد تسربت هذه الأفكار إلى عقول كثير من الشباب العرب من خلال منصات الترجمة، والبودكاست، وحلقات النقاش عبر الإنترنت[1].

ومن أخطر مظاهر هذا التحدي أن الإلحاد الجديد يُسهم في نقل النقاش الديني من ميدان البرهان إلى ميدان السخرية والازدراء، مما يربك العقل غير المحصن، ويُفقد النقاش صفته العلمية، وهو ما يجعل التعامل معه عقديًا يتطلب استحضار موروث السنة النبوية الذي جمع بين الحجة والرحمة، وبين الرد والإرشاد، كما سيأتي في المطلب الثاني.

ثانيًا: هشاشة الإيمان والتدين المظهري

برز في الخطاب الشبابي المعاصر ما يمكن وصفه بـ الإيمان الهش، وهو نمط من التدين القائم على الشعائر الظاهرة دون جذر عقدي راسخ، ما يجعله عرضة للسقوط عند أول سؤال أو أزمة أو شبهة. وتتجلى هذه الهشاشة في سرعة الانقلاب العقدي، وتقلّب الولاءات الإيمانية، وعدم الثقة في مصادر الدين، والتعامل مع المرويات النبوية بكثير من الشك والانتقائية.

وقد أرجع عدد من الباحثين هذه الظاهرة إلى غياب الربط التربوي بين العبادات والعقيدة، وافتقاد خطاب

---

(١) أنظر: وهم الإله، دوكينز، دار التنوير، بيروت، ط٢، ٢٠١٠، ص١٥-٣٨.

الدعوة إلى التأصيل الإيماني المتين الذي يجعل من العقيدة محركًا للأفعال لا زينة شكلية. إن السنة النبوية عندما كانت تُربّي الصحابة، كانت تزرع الإيمان أولًا، ثم تبني عليه العمل، كما في حديث: « قوموا إلى نارٍ وقودُها الناسُ والحجارة »، الذي قاله النبي ﷺ عندما رأى رجلاً يرتكب مخالفة، فخاطبه من منطلق عقدي لا قانوني فقط[١].

ثالثًا: النسبية الدينية والتفسيرات الحداثية

من بين التحديات التي اجتاحت ساحة العقيدة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين ما يعرف بـ التفسير النسبي للدين، والذي يقوم على مقولات فلسفية تفيد أن كل المعاني دينية كانت أو غيرها هي معانٍ «تأويلية»، وأن الحقيقة واحدة عند الجميع، لكن تُفهم بأشكال مختلفة. وقد تأثرت بهذا التيار مدارس من «الإسلام الليبرالي» التي تؤول النصوص العقدية على ضوء السياق التاريخي، وتقلل من إلزامية السنة النبوية، وتدعو إلى تجاوز «القطعيات» لحساب ما يسمونه بـ«القراءة المقاصدية التعددية».

وتنبع خطورة هذا التحدي من أنه لا يُعلن العداء للدين بشكل مباشر، بل يتسلل إليه باسم التحديث والتأويل، ويقدّم نفسه باعتباره أكثر ملاءمة للعصر، ما يجعله مقبولًا لدى شريحة من الشباب الجامعي. ومواجهة هذا التيار تتطلب العودة إلى السنة بوصفها مصدراً لتفسير الوحي لا لتجاوزه، وبيان أن التعدد في الفهم لا يعني نفي القطعيات، ولا إلغاء مركزية العقيدة[٢].

رابعًا: التفكيك الأخلاقي وفقدان المرجعية

لقد ساهمت المنظومات الإعلامية، والتعليم غير الديني، والسينما، ومواقع التواصل الاجتماعي، في بناء ما يمكن تسميته بـ «أخلاق ما بعد الحداثة»، وهي منظومة أخلاقية لا تستند إلى مرجعية مطلقة، بل تحتكم إلى الرغبة، واللذة، والنفع، والتجربة الفردية، وهو ما يهدد المنظومة الأخلاقية الإسلامية التي ترتبط في أساسها بالعقيدة: الحلال والحرام، الثواب والعقاب، الجنة والنار.

ومن مظاهر التفكيك الأخلاقي لدى الشباب: التردد في الحكم على الانحرافات الجنسية، الإعجاب بـ«الحياد القيمي»، وتصاعد لغة التسامح المفرط الذي يُذيب الحدود بين المعروف والمنكر. وقد نبّه النبي ﷺ إلى هذا المنزلق العقدي مبكرًا بقوله: « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقابًا... »[٣] ويكشف هذا الحديث أن السكوت عن النسبية الأخلاقية يقود إلى انهيار المجتمع عقديًا وسلوكيًا.

خامسًا: العلمنة المتسللة والنمطية الغربية

ومن التحديات الكبرى ما يُعرف بـ العلمنة الزاحفة (Creeping Secularism)، وهي ليست علمانية

---

(١) سنن أبي داود، ج٢، ص٢٥٣.

(٢) أنظر: الإسلام التأويلي، عبد المجيد الشرفي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2010، ص91-77.

(٣) سنن الترمذي، ج٤، ص٤٦٨.

الدولة فحسب، بل علمانية الوعي، إذ أصبح الدين يُختزل في الوظيفة التعبدية، ويُستبعد من تفسير الكون والحياة والتاريخ والهوية. وتُسهم في هذا التيار منصات ثقافية عالمية تقدم الحياة من دون إله، وتروج لمقولات مثل «أنت من يصنع مصيرك»، أو «لا قداسة فوق الإنسان»، وهي مقولات تُفقد العقيدة وظيفتها الكبرى في توجيه النظر والعمل.

إن الشباب في ظل هذه العلمنة قد يحتفظون بشيء من الهوية الشكلية الإسلامية، لكنهم يفسرون الحياة بتصورات مادية محضة. ومواجهة هذا التحدي لا يكون إلا بإعادة بناء التصور العقدي من خلال السنة النبوية التي جمعت بين العبادة والهوية، بين الإيمان والحضارة، بين التوحيد والفعل في الواقع(١).

سادسًا: أثر وسائل التواصل والثقافة الرقمية في تشويش العقيدة

أحدثت وسائل التواصل الاجتماعي ثورة في تشكيل الوعي العقدي، فهي تنقل المحتوى دون تصفية علمية، وتجمع بين النقيضين في الصفحة الواحدة، وتُسوّق للشبهات بأساليب جذابة ومؤثرة، ما يجعل الشاب عرضة لـ«اللايقين الرقمي»، حيث لا يعرف ما يصدق، ولا يملك أدوات التمييز بين المعلومة الصحيحة والمضللة.

كما أن الخوارزميات الرقمية تسهم في تعزيز الشك، إذ تُظهر للمستخدم ما يؤيد أسئلته وشكوكه، مما يخلق فقاعات فكرية تُضخم التشكيك وتُضعف التثبيت. لذا فإن العودة إلى خطاب السنة النبوية المتدرج، الموثوق، المستقر، والجامع بين العقل والنقل، يُعد اليوم ضرورة عقدية(٢).

سابعًا: ضعف الخطاب الديني التقليدي والحاجة إلى تجديد عقدي

أمام هذه التحديات كلها، تبرز مشكلة داخلية لا تقل خطورة عن التحديات الخارجية، وهي ضعف الخطاب الديني التقليدي الذي كثيرًا ما يُقدّم العقيدة في قوالب جامدة، أو بلغة تراثية لا تُحاكي عقل الشاب، أو بروح وعظية خالية من البرهان العلمي والحجاج المعاصر.

وقد فشل هذا الخطاب – في كثير من الأحيان – في معالجة الأسئلة الجديدة، أو تجاوز الفجوة بين «الدين المعيش» و«الدين الموروث»، مما يستوجب تأصيلاً عقديًا جديدًا مبنيًا على الوحيين، مستنيرًا بالمنهج النبوي، ومُنفتحًا على أدوات العلم والمنطق، دون أن يُفرّط في الثوابت.

إن السنة النبوية، بما تحمله من حكمة وعلم وهداية، تمثل المرتكز الأكبر لإعادة بناء هذا الخطاب العقدي الشبابي، على نحو يتجاوز الصدام أو التمييع، ليُبني عقيدة ثابتة، متزنة، قادرة على مقاومة الإلحاد، ومواجهة التفكيك، وصناعة اليقين.

المطلب الثاني: فاعلية السنة النبوية في تحصين الشباب وتعزيز الثبات

---

(١) الإسلام والعلمانية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ٢٠١١، ص٢٢١-٢٣٨.

(٢) أنظر: الفضاء الرقمي وتشكيل العقل الديني، عبد الرحمن حللي، مجلة تأصيل، العدد 17، 2021، ص45-23.

في مواجهة ما يشهده العصر الراهن من اضطرابات فكرية، وغربة قيمية، وتحديات عقدية، تبرز السنة النبوية المطهّرة باعتبارها المرجع الحي والواقعي الذي لا يقدّم فقط نماذج مثالية، بل يضع آليات نفسية وتربوية لحماية الإيمان عند المحنة، وغرسه في القلوب زمن الفتنة. ومما يُميز السنة في هذا السياق أنها لا تكتفي ببيان العقيدة نظرًا، بل تصوغها في قوالب سلوكية وجدانية تعين المسلم، لا سيما الشاب، على الثبات، وتحقق له الانتماء العقدي في ظل زخم التشكيك.

أولًا: السنة النبوية ونماذج الثبات في زمن الفتنة

لقد قدّمت السنة النبوية نماذج عملية للصمود الإيماني عند ظهور الفتن، وزمن الغربة، ومراحل الانعزال القيمي، ومنها قول النبي ﷺ: « بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء »[١] فهذا الحديث يُعدّ من أقوى النصوص النبوية في إعداد المؤمن نفسيًا لما قد يواجهه من عزلة فكرية، واستضعاف اجتماعي، ورفض ثقافي من المحيط، وهو تصوير دقيق لحالة كثير من الشباب الذين يتمسكون بثوابتهم العقدية في بيئات جامعية أو مجتمعية تُجرّم الثبات، وتُشجع النسبية والتسيب.

ويُشير الحديث إلى أن الغرابة ليست دليلاً على البطلان، بل قد تكون قرينة على التمسك بالحق عند ضعف الأنصار وكثرة المناوئين، وهو ما يعزز الثقة في النفس، ويُربّي على الاستعلاء الإيماني. كما أن التعبير بـ«طوبى» يُضفي بعدًا وجدانيًا تعويضيًا يعكس التحفيز النبوي لتجاوز ضغوط البيئة المخالفة[٢].

ثانيًا: السنة كمعلم تربوي يغرس القيم الإيمانية في ظل المتغيرات

من أبرز ما تتميز به السنة النبوية أنها تُربّي الإيمان من خلال التجربة الإنسانية، فهي لا تقدم الإيمان كمعادلة عقلية جامدة، بل تغرسه في النفس عبر قيم مترابطة مثل الصبر، واليقين، والتوكل، والرجاء، والخوف، والرضا. فهذه القيم هي أعمدة العقدة الإيمانية التي تصمد عند الامتحان، وهي القيم التي تتعرض اليوم لاهتزاز كبير بسبب هيمنة الخطابات المادية التي تجعل الإنسان مركز الكون، وتفصل الإيمان عن الأخلاق.

ومن الأحاديث المؤسِّسة لهذه القيم، حديث: « عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له »[٣] فهذا الحديث يُقدّم تصورًا عقديًا شموليًا للحياة، قائمًا على أن كل ما يجري في الكون هو خير للعبد المؤمن، سواء ظهر له وجهه أو لم يظهر، وهو ما يُحصّن الشاب من التذمر الوجودي والسقوط في دوامة التشكيك.

كذلك حديث: « واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا »[٤] يُربي على الثقة

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ج١، ص١٣٠.
(٢) فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص٥٥.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الزهد، ج٤، ص٢٢٩٥.
(٤) مسند أحمد، ج١، ص٣٠٧.

بالوعد الإلهي، واليقين بأن المحنة يعقبها منحة، وهو خطاب نفسي يعالج حالات القلق والإحباط التي تُفضي في كثير من الأحيان إلى الشك في حكمة القدر أو نفي العناية الإلهية.

ثالثًا: أحاديث الولاء والبراء والتمسك بالجماعة في مواجهة التفكيك العقدي

في ظل تزايد التمزق الهوياتي والانتماءات الهائعة لدى الشباب، وتآكل الشعور بالانتماء الديني لصالح الانتماءات الثقافية والعابرة، جاءت السنة النبوية لتعزز مفهوم الولاء العقدي لله ورسوله والمؤمنين، والبراءة من الكفر والضلال، بما يحصّن القلب من الذوبان في ثقافة الغير.

قال النبي ﷺ: « من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان »[١] فهذا الحديث يؤسس لمعيار إيماني خالص في العلاقات والولاءات، ويمنح الشاب المسلم بوصلته العقدية في عصر تتداخل فيه المرجعيات وتتآكل فيه الثوابت.

كما أن أحاديث الفتن تؤكد على أهمية التمسك بالجماعة وعدم الافتراق العقدي، ومنها قول النبي ﷺ: « من فارق الجماعة شبرًا فمات، فميتته جاهلية »[٢] وهي دعوة إلى التماسك العقدي والاجتماعي، لا بوصفه التزامًا تنظيميًا، بل بوصفه سياجًا للإيمان وثباتًا على الحق.

وفي حديث آخر: « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ... »[٣] تأكيد صريح على أن التمسك بالسنة في زمن التفرق هو الضمان الحقيقي للاستمرار في خط الإيمان والتوحيد.

إن فاعلية السنة النبوية في تحصين الشباب وتعزيز ثباتهم الإيماني لا تنبع فقط من قداستها كمصدر وحي، بل من بنيتها التربوية والنفسية والوجدانية التي تفهم طبيعة الإنسان، وتتدرج معه، وتمنحه أدوات البقاء الإيماني في عالم مضطرب. ومن هنا فإن الدعوة إلى تفعيل السنة في مواجهة التحديات العقدية لا ينبغي أن تكون شعارًا، بل مشروعًا معرفيًا وتربويًا شاملاً، يجدد الخطاب العقدي بلغة نبوية وروح واقعية.

---

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، ج٥، ص١٤٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، ج٣، ص١٤٧٨.

(٣) سنن أبي داود، كتاب السنة، ج٤، ص٢٠٠.

الخاتمــة

في ضوء التحليل المتعمق للمباحث التي تناولتها هذه الدراسة الموسومة بـ:

«السنة النبوية ودورها العقدي في ترسيخ الثوابت الإيمانية لدى الشباب: دراسة تحليلية في ضوء التحديات الفكرية المعاصرة»، يتضح أن السنة النبوية ليست نصوصًا تراثية جامدة، بل هي منظومة عقدية تربوية متكاملة، قادرة على تقديم خطاب إيماني فعّال يعالج أزمة اليقين، ويستجيب لتقلبات الوعي الشبابي المعاصر. لقد برهنت السنة من خلال منهجها النبوي على فاعليتها المستمرة في تثبيت العقيدة، وتحصين الهوية، وبناء التصورات، في مواجهة موجات الإلحاد، والنسبية، والعلمنة، والانتماءات المفككة.

وإذ تواجه الأمة اليوم تحديات فكرية متداخلة، فإن الرجوع إلى السنة النبوية بوصفها مرجعية عقدية أصيلة، ينبغي أن يتم وفق قراءة منهجية واعية، تستنطق مقاصدها، وتستوعب أدواتها التربوية، وتستثمر قدرتها في تشكيل الإيمان على نحو يجمع بين العمق العقدي والتأثير النفسي والبناء الاجتماعي.

أولًا: النتائج الرئيسة

* مركزية العقيدة في السنة النبوية تُمثّل ركيزة تأسيسية للدين الإسلامي، إذ كانت أحاديث النبي ﷺ تُقدّم الإيمان بالله، والبعث، والنبوة، والملائكة، والقدر، بوصفها أركانًا لا تستقيم الرسالة بدونها، وهو ما تجلّى في أحاديث مثل حديث جبريل، وحديث «الإيمان بضع وسبعون شعبة».

* أثبتت السنة النبوية قدرتها على معالجة الشبهات العقدية الكبرى التي تُثار في الفكر الحديث، مثل نفي وجود الله، أو التشكيك في النبوة، أو الاعتراض على القدر، عبر خطاب يجمع بين البرهان العقلي والبيان الفطري والأسلوب التربوي المؤثر.

* تُعد البيئة الرقمية الحديثة أحد أخطر مهددات الثوابت العقدية، إذ تُنتج حالة من اللايقين والتشكيك المستمر، في ظل ضعف مناعة الشباب العقدية، وغياب الخطاب الديني القادر على الاستجابة للأسئلة الجديدة.

* كشفت الدراسة عن ضعف ملموس في الخطاب الديني التقليدي في مجابهة التحديات الفكرية المعاصرة، مما يستدعي إعادة بنائه على أساس من الوحيين، مع الاستفادة من المنهج النبوي في مخاطبة العقول والقلوب.

* بينت السنة النبوية فاعليتها في غرس القيم العقدية عبر أحاديث الفتن، والولاء والبراء، وأحاديث الصبر واليقين، والنماذج النبوية في الثبات، مثل حديث «بدأ الإسلام غريبًا»، مما يمنح الشباب القدرة على التماسك الإيماني وسط الاضطراب الفكري.

ثانيًا: التوصيات العلمية والعملية

* العمل على تجديد الخطاب العقدي الموجه إلى الشباب انطلاقًا من نصوص السنة النبوية، بما يجمع بين الأصالة والوَعْي الحضاري، ويخاطب واقعهم الثقافي والتواصلي بلغة مفهومة وعقلانية.

* تضمين مناهج التربية الإسلامية في المدارس والجامعات جوانب تحليلية من السنة النبوية تُعالج تحديات

الإيمان واليقين، وتتناول الشبهات الحديثة بأسلوب علمي تربوي، لا تلقيني ولا وعظي جامد.

* إعداد برامج دعوية وإعلامية شبابية تعتمد على مقاطع من الأحاديث النبوية التي تُعزز الانتماء العقدي، واليقين بالله، والرضا بالقضاء، والاستعلاء الإيماني، مع ربطها بالواقع المعاصر والتجارب الشبابية.

* تدريب الأئمة والدعاة والمربين على منهج النبي ﷺ في تثبيت العقيدة، من خلال استحضار أساليبه في التعليم، والوعظ، والحوار، والرد على الأسئلة، وبناء التصورات الكلية للإيمان.

* إطلاق منصات رقمية تفاعلية تعتمد السنة النبوية مرجعية رئيسة في معالجة الشبهات الفكرية، وتستخدم الوسائل البصرية والوسائط المتعددة، من أجل نشر خطاب إيماني نقي، متجدد، محصِّن، جذّاب.

* وختامًا، فإن هذه الدراسة تمثل مدخلاً تأسيسيًا لفتح مشروع علمي تربوي موسع، يُعيد للسنة النبوية دورها المحوري في بناء الإيمان وتحصين العقيدة، ويُبرز أنها ليست مجرد ميراث معرفي محفوظ، بل بوصلة إيمانية متجددة، صالحة لكل زمان، وقادرة على مخاطبة الإنسان في كل بيئة وتحدٍّ.

المصادر والمراجع

١. أثر الفضاء الرقمي في تشكيل الوعي الديني، عبد الرحمن حللي، مجلة تأصيل، عدد ١٧، ٢٠٢١.

٢. الإسلام التأويلي: من النص إلى المفهوم، عبد المجيد الشرفي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠.

٣. الإسلام والعلمانية: وجهة نظر إسلامية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠١١.

٤. الإيمان والحياة، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤.

٥. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ٢٠٠٥، ج١-٥.

٦. سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠، ج١-٥.

٧. سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون طبعة، دون سنة نشر، ج١-٥.

٨. السنن الكبرى، النسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١.

٩. سيرة ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٧، ج١-٤.

١٠. شرح النووي على صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦، ج١-١٨.

١١. صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢، ج١-٩.

١٢. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، **١٩٩٥**، ج**١**-**٥**.

١٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، دون طبعة، دون سنة نشر، ج**١**-**١٣**.

١٤. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، أحمد عبد الرحمن البنا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون طبعة، ج**١**-**٥**.

١٥. معالم في الطريق، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، **٢٠٠٦**.

١٦. وهم الإله، ريتشارد دوكينز، ترجمة: حسام الدين خالد، دار التنوير، بيروت، الطبعة الثانية، **٢٠١٠**.